Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية
https://kujhs.uokirkuk.edu.iq

The contributions of the traveler Abu Baqa al-Balawi to the geographical thought of the time period (7 AH / 13 AD)

Asst. Lect. Yassin Miqdad Majeed Al-Tamimi
Kirkuk University / College of Arts / Department of Applied Geography
Phone: 07708496103
yassenmaqdad89@uokirkuk.edu.iq

تاريخ الارسال 15-9-2024	تاريخ التعديل 23-9-2024	تاريخ القبول 24-9-2024

Abstract:

The research aims to demonstrate the extent of the contribution of the traveler Abu al-Baqa' al-Balawi through his famous work "Taj al-Mufriq" in enriching the knowledge of scholars in the East during the period represented by the 7th century AH / 13th century AD, which is the focus of the research. This period is characterized by his descriptions of geographical fields in both their natural and human aspects through his accounts of various parts of the world, or rather the countries he reached during a journey that lasted nearly five years, during which he traveled between different regions of the world, starting from his homeland Qutoria or Qantoria in Andalusia (present-day Spain) and returning to it. The primary purpose of his journey was for pilgrimage. The study concluded that the traveler Abu al-Baqa' al-Balawi made a significant contribution in his descriptions of the countries and states he visited. He mentioned most of the geographical aspects and their fields, and he contributed to enriching this aspect, even though his

way of describing them had a rhythmic quality regarding the natural and human phenomena he referred to in his journey. At times, he had a broad perspective in describing these phenomena and a complete understanding and prior knowledge, either from his own experience or from trustworthy people, albeit in rare instances.

Keywords: Abi Al-Baqa Al-Balawi, Contributions of geographers and travellers.

اسهامات الرحالة ابي البقاء البلوي في الفكر الجغرافي للفترة الزمنية (7 هـ / 13 م)

م.م ياسين مقداد مجيد التميمي

جامعة كركوك / كلية الآداب / قسم الجغرافية التطبيقية

الهاتف : 07708496103

yassenmaqdad89@uokirkuk.edu.iq

الملخص :

يسعى البحث الى بيان مدى اسهام الرحالة ابي البقاء البلوي من خلال مؤلفه الشهير تاج المفرق في تحلية علماء المشرق في الفترة الزمنية المتمثلة بقرن(7 هـ / 13 م) التي يدور مسار البحث حوله في وصف حقول الجغرافية بشقيها الطبيعي والبشري من خلال وصفه لشتى بقاع العالم التي وصلها هذا الرحالة في رحلة دامت قرابة الخمسة اعوام قضى فيها حياتها متنقلا بين اقطار العالم ابتداء من بلده قتوريا او قنتوريا في الاندلس (اسبانيا حاليا) ورجوعا اليها ، حيث كانت رحلته سببها هي لغرض الحج بالدرجة الاساس ، وتوصلت الدراسة الى ان الرحالة ابي البقاء البلوي كان له اسهام كبير في وصفه للبلدان والدول التي زارها اثناء . وذكر اغلب الجوانب الجغرافية ومجالاتها و قد ساهم في اغناء هذا الجانب رغم ان طريقة وصفه كان ذا سجع و له افق واسع في وصفه الظواهر ودراية تامة ومعرفة مسبقة اما بنفسه او عن اناس ثقاة في احيان قليلة .

الكلمات المفتاحية : ابي البقاء البلوي ، اسهامات الجغرافية ، الرحالة .

المقدمة:

ان الرحلات الجغرافية كانت تمثل اللبنات الاولى التي تشكلت منها الجغرافية بمفهومها الحالي حيث اضافت كم هائل من المعلومات عن مجاهيل البلدان والقارات التي لم يصل اليها الانسان من قبل ولم تكن لديه ادنى فكرة عن ماهية وطبيعة الاماكن المحيطة به القريب منها والبعيد ، فلا تخلو الرحلات من الوصف لحقول الجغرافية سواء كانت الرحلة في اصلها جغرافية ولأجله ام وصفية دينية تاريخية . ويعتقد البعض من الجغرافيين المسلمين المتأخرين اما عن جهل او عدم تقييم صحيح للتراث الجغرافي الاسلامي – ان التراث الجغرافي الاسلامي لا يرقى في منهجيته وتحليله وعرضه للمعلومات الى ما يناضر ما لدى الجغرافية الغربية المعاصرة ولذلك ما فتئوا يتبعون الجديد الذي يأتيهم من الغرب مقلدينهم في ابحاثهم واتجاهاتهم العلمية ناسين او متناسين الكنوز الجغرافية التي خلفها لهم اجدادهم المسلمون خلال القرون التي امتدت من القرن الثاني الهجري – القرن التاسع الهجري (8- 15 م) ولا يعلمون ان الذين يهرولون وراءهم قد سبقوهم واخذوا علومهم اولا من التراث الجغرافي الاسلامي **(حسن و الجخيدب، 2004، صفحة 7)** .

1-مشكلة الدراسة :

اقتضت الدراسة مشكلتين اساسيتين وهما كالاتي:

1- هل كانت للرحالة ابي البقاء البلوي اسهامات جغرافية ؟

2- هل تميز البحث الجغرافي عند ابي البقاء البلوي بالأصالة ؟ وماهي هذه الجوانب ؟

2-فرضية الدراسة :

1- ان لأبي البقاء البلوي دور واضح و كبير في اغناء المجال الجغرافي وإسهامات جلية بالذكر في حقلي الجغرافية الطبيعية والبشرية.

2- تميزت معلومات البلوي الجغرافية بالأصالة والتمييز حيث جاءت اصالته من الوصف الدقيق والاسهاب في بيان بعض المظاهر الجغرافية فضلا عن الوقوف على الظاهرة اي الوصف بالمشاهدة وهذا ما يعرف حالياً بالدراسة الميدانية .

3- هدف الدراسة :

كان دافع وهدف الدراسة للوقوف على دور الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين في قرن (7هـ / 13م) ومنهم هذا الرحالة الملقب بالبلوي وبيان دقه وصفه للظواهر الجغرافية .

4-منهج الدراسة :

اتبع الباحث عدة مناهج من اجل تحقيق غاية واهداف الدراسة ومنها المنهج الموضوعي ومن ثم المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمقارن .

5- الحدود المكانية والزمانية : تمثلت الحدود المكانية بالبلدان التي زارها اثناء رحلته انطلاقا من موطنه الاندلس(اسبانيا حاليا) مرورا بشمال افريقيا من الجزائر وتونس ومصر والاردن وفلسطين الى المملكة العربية السعودية . **اما الحدود الزمانية** تمثلت بقرن (7هـ -13م).

6- هيكلية الدراسة :

تضمنت المقدمة والمشكلة والفرضية وهدف ومنهج الدراسة والحدود الزمانية والمكانية للبحث ومن ثم المحور الاول تضمن اللوي واسمه ونشأته ومؤلفاته والمحور الثاني تضمنت وصف البلوي لحقول الجغرافية الطبيعية والبشرية وتفرعاتهما ومن ثم الاستنتاجات وقائمة المصادر.

المحور الاول:1 البلوي اسمه ونشاته

هو ابي البقاء خالد بن عيسى البلوي الاندلسي غادر الاندلس (اسبانيا حاليا) سنة (736 هـ / 1335م) **(حميدة ، 1995، صفحة 700)**. في رحلة الى اقطار الحجاز لتأدية فريضة الحج وزيارة بعض الاقطار الاسلامية فمر بتونس والاسكندرية والقاهرة واقام بعض الوقت ببيت المقدس ومن ثم الحجاز **(حسن ز.، 2013، صفحة 99)**. وكنيته ابو زيد وغلب عليه ابو البقاء البلوي نسبة الى بلي وهي قبيلة من قضاعة وقبيلة البلويين ترجع الى بلي بن عمر بن لحاف بن قضاعة واليها ينتسب جماعة من صحابة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) **(حمد، 2018، صفحة 71)**. وهو من اهل قنتورية او قتوريا او قنطورية (جنوب اسبانيا الحالية) من حصون وادي المنصورة والغالب انه ولد سنة (713هـ / 1313م) **(خربوطلي و خولاني، 2015، صفحة 146)** . ونشأ ابو البقاء البلوي في اسرة ذات اهتمام علمي فترعرع في وسط علمي وتربى تربية دينية صالحة وتوفي سنة 780 هـ / 1387م) **(نواب، 1996، الصفحات 139-140)**.

2- مؤلفاته :

لم تكن لهذا الرحالة مؤلفات كثيرة وان من اشهر رحلاته **(نواب، 1996، صفحة 139)**:

1- رحلته التي سماها تاج المفرق في تحلية علماء المشرق بجزأين .

2- برنامج روايته ولكن لم يعثر عليها وانما ذكر ذلك عرضا في اثناء حديثه في رحلته.

3- ديوان شعر ضمنه قصائه ومقطوعاته.

4- حديث الرحمة وكتاب عن اسانيد لثلاثيات البخاري . حيث فرغ من كتابته لمؤلفه سنة (767هـ /1365م) وعني البلوي في اخبار رحلته في وصف البلاد التي مدحها والاشارة الى علمائها وأدباءها مع نبذ من اشعارهم ونثرهم **(حسن ز.، 2013، صفحة 99)**.

المحور الثاني: وصف البلوي لحقول الجغرافية

ولكي نفهم اصالة البحث الجغرافي عند البلوي تم تقسيم هذا الجانب الى حقلين اساسيين وهما الشق الطبيعي والشق البشري وتفرعاتهما رغم عدم الاسهاب والايضاح العميق في بعض الجوانب وهذا طبيعي لان اساس رحلته سببها الحج بمعنى الغرض ديني بالدرجة الاساس لذلك قسمت الدراسة بهذا الشكل . وان رحلته من الرحلات الادبية القائمة على النثر المليء بالسجع المتكلف يصعب على القارئ العادي فهمها لأول وهلة مع الاكثار من الشعر سواء له او لغيره ، كما اهتم بالوصف الجغرافي للمدن والقرى التي مر عليها بدون تطويل ممل او تقصير مخل واهتم بذكر النواحي التاريخية القديمة عن المساجد والاثار المقدسة

وسجل الاجازات التي نالها من العلماء بالجانب الديني **(نواب، 1996، الصفحات 139-140)** . انظر الشكل (1) خريطة تتبع رحلة البلوي للبلدان.

خريطة (1) تتبع رحلة البلوي للبلدان

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الموسوعة العربية الالكتروني على شبكة الانترنت https://arab-ency.com.sy/ency/details/11188/22

1- الجغرافية الطبيعية

1-1 الموارد المائية:

في هذا الجانب يورد الرحالة ابي البقاء البلوي الحديث عن بجاية وهو خارج منها متوجها الي قسطنطينة الجزائريتين قائلا (وقد اخذت في حركة الخروج من ذلك القطر (بجاية) الذي هو حاضرة البحر (بحر المتوسط) ونادرة الدهر ... في صبيحة يوم الاحد الحادي عشر لرجب ... وقد انسابت في مغائر الانهار ثم جزنا الوادي الكبير وهو بحر عباب ، وسرنا والموج قد غمر) **(البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، ب ت (ج1)، الصفحات 11-12)**. حيث تقع بجاية في الجزائر على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وحيث تقع بالقرب من نهر الصومام الذي كان يعرف في العصر الوسيط باسم الوادي الكبير او وادي الساحل **(بن عميرة و بن عميرة ، 2015، الصفحات 15-16)**. وفي هذا اشارة الى مصب نهر الصومام المورد المائي الذي يغذي المنطقة المذكورة والامواج من كثرتها تغمر الاراضي مدا وجزرا واحيانا تؤدي الى الفيضانات . وبعد وصوله الى اقليم مصر ذكر نيلها فقال: (وبحر النيل الجيب قد فاض فيضا وركضت سيوله في البسيطة ركضا وزاد امتلاؤه على حده) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 127)**. فيصف هنا الفيضانات نتيجة ارتفاق مناسيب المياه وحدوث سيول وفيضانات مائية. كذلك يصف قنتوريا موطنه الاصلي عند رجوعه اليها قائلا (وسرنا في ظل ظليل وزهر بليل في ضفتي نهر وادي المنشور الملتوي كالأيم الذاهب منظره بالسئام والأين يدوقه هبوب النسيم **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 127)** .على الاغلب يقصد به نهر المنصورة وهو من الانهر التي تمر في جنوب شرق اسبانيا الحالية . ويكمل عن تلمسان التي تقع في شمال غرب الجزائر في هذا الجانب متحدثا عن ظاهرتي المد والجزر التي هي من المعلوم ترتبط بجاذبية القمر (وافينا مدينة تلمسان .... مدينة قل مثلها ومياه لها در الحصا انسحاب وانسياح) **(البلوي، ب**

ت (ج2)، صفحة 6). هذا فقد اكتفى بهذا القدر من الوصف في جانب الموارد المائية في رحلته وتارة يذكر فقط اسم نهر او بحر دون التعقيب على تفاصيل اخرى .

2-1 جغرافية اشكال سطح الارض:

فقد وصف هذا الرحالة بعض اشكال السطح للبلدان التي مر عبرها وسار اليها ويتكلم بهذا المجال عن وصف طريقه المؤدي الى مرسى هنين الواقعة شمال غرب الجزائر (وسرنا في اطيب هواء واحسن استواء الى ان وافينا مرسى هنين فنزلنا بها ضحوة يوم الثلاثاء التاسع لجمادي الاولى فرأيت بليدة نضيرة ... موضوعة اسفل جبلين بين بحر وشجر ويخفضها ارتفاع قلعة ... ولقربها من الاندلس هي مذكورة) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 6)**. فهنا وصف الطبيعة الجيومورفولوجية لهذه المنطقة وهي دلالة على ان المنطقة غير متضرسة وارض مستوية قبل وصولها مرسى هنين ومن ثم بعد وصوله المرسى يصفها بأنها اسفل جبلين اي في وادي وتحيط به المناطق المرتفعة وانها اكثر تضرسا من سابقتها . وهنين مدينة ساحلية وبوابة تلمسان على البحر وهي تأخذ مجالا من جبال ترارة المعروفة بمسالكها الوعرة وقمم جبالها شاهقة الارتفاع ، وتتموضع على سفح جبل المنزل **(بن زغادي، 2015، صفحة 83)**. كما يعود ويتكلم عن مظاهر السطح عند توجهه من فسلطين باتجاه مدينة الكرك الاردنية (وخرجت من مدينة القدس الشريف ... ثم عبرنا الوادي الكبير بعد ان لقسنا الجهد الكثير ... الى ان وافينا الكرك المحروسة ... منصوبة على اضيق المسالك واوعر المناصب صماء عن الراقي عالية على المرتقى نائية للمراقب لم تزدها الايام الا نبو اعطاف (ميل واعوجاج) واستصعاب جوانب واطراف ... وفتحت ابوابها انقابا في وسط الحجر الصلد ... وتقطع ارضها صحراء مجوفة القطع جرداء كالنطع ... ويضل السبيل عوجها) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 87-88)**. فالوصف دقيق هنا حيث ان مملكة الكرك هي في مجملها صحراء في الشرق تقطعها بعض الواحات

الصغيرة وامتداد جبلي في الوسط يصل ما بين جبال الحجاز وجبال البلقاء وغور في الغرب يواكب هذا الامتداد الجبلي الى نهاية البحر الميت وابتداء تيه بني إسرائيل **(البخيت، 1976، صفحة 31)**. اما مدينة مكة المكرمة فيقول (ومكة شرفها الله بلدة قد وضعها الله تعالى بين جبال محدقة بها وهي بطن واد مقدس كبيرة مستطيلة ... وتأخذ من اعلى جبل يعترض عن يمين الطريق في التوجه الى العمرة وتشق الطريق الى اعلى جبل عن يسار ومنه ميقات المعتمرين ... ايضا يشرف عليه جبل ابي قبيس وهو في الجهة الشرقية يقابل ركن الحجر الاسود وهو اول جبل خلقه الله وهو احد اخشبي (جبال) مكة والاخشب الثاني الجبال المتصل بقيعان في الجهة الغربية ... ومن جبال مكة المشهورة جبل حراء وهو في الشرق) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 107-111)**. وهذه الاشارة مطابقة لجيومورفولوجية مكة المكرمة من حيث انها في وادي وتحيط بها الجبال المذكورة . اما عن مدينة قاطية التي تقع في شمال سيناء مصر (الى ان وصلنا قاطية والظلام يزملنا بنجاده واليباب يرفعنا الى ظهور روابيه ...وهي بليدة عجيبة منقطعة في ذلك الرمل غريبة ... ويمتد بين يديها من كلا جنبيها رمل افيح اغبر لاماء فيه ولاشجر ... ووضعت في وسط الصحراء) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 125)** . فيدل هذا الكلام على ان المدينة هذه تقع في ارض صحراوية مقفرة وتربة منهكة غير صالحة للزراعة بسبب الكثبان الرملية التي تغطيها وهي في صحراء سيناء.

1-3 المناخ والتربة:

نجد البلوي يتحدث عن طبيعة مناخ العاصمة الجزائرية متوجها الى بجاية الجزائرية ايضا والمناطق التي تؤدي اليها والقريبة منها قائلا (فبقينا نكابد الامر ونسير ولا نفارق ساحل البحر ... وقد اشتد البرد وبلغ الجد ... ووقع الثلج ...وابتلى به الفج والمرج ... وقد جمدنا وكأننا بلا نفوس ... وجاءت السماء بسيل عرم ... وقد ثوب الغمام سهامه ولبس الجو لحرب المحل لامه فلم يبق قطر الا وقد نفت فيه تلك السهام ولا افق

الا وعلاه من خيوط الودق المحتبسة مثل القتام) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 8)**. فهنا اشار الى طبيعة المناخ الممطر والتي توافي قصل الشتاء حيت ان هذه المناطق من المعلوم انها تقع ضمن مناخ البحر المتوسط الماطر شتاءا وكيف ان المياه في كل مكان وتحدث السيول على اثرها . وهذا المناخ يشمل سوحل البحر المتوسط حيث امطار هذه المناطق غزيرة **(علوش، 1986، صفحة 54)**. يسترسل في ذات الجانب في ذات البلد واصفا احوال الطقس من حيث سرعة الرياح وشدة تساقط الامطار اثناء توجهه من بجاية الى قسطنطينة ومن ثم الى جزر مالطا الإيطالية (وسرنا والموج غمر ... والريح ترمي بحاصب والودق يأتي من كل جانب ...حتى وصلنا قسطنطينة والركاب فاشلة والنفوس ذاهلة وجفون السحاب هاملة هاطلة .... ووصلنا ملطة ثم هبت ريح اقتلعتنا واسرعتنا واشتدت وحامت فروعتنا وازعجتنا حتى ادخلتنا مرسى جزيرة افريطش (جزيرة كريت حاليا)،... فلما توسطنا المواسط اشتدت الريح المختلفة وعظمت الامواج المضطربة واتت الانواء من كل جانب فاظلم الجو وتراكم النوء وارتفع الصحو وتبدل بالكدر الصفو واهتاج البحر اهتياجا واربدت الافاق سوادا وانتشرعا الرياح عصوفا وارسلت شئابيب الامطار كأنها السهام) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 33)**. اذ اجزل في وصف الاضطراب المناخي في هذه الجزر الايطالية جنوب اوربا واشارته بحدوث العواصف البحرية .

4-1 الترب :

في هذا الموضوع كانت الاشارات طفيفة فهو يشير الى تربة المدينة المنورة (ووصلنا الى المدينة النبوية الشريفة المخصوصة بالصفحة الزهراء والتربة البيضاء) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 92)**. وعن تربة الجزائر ومدينة تلمسان يقول (وردنا الى مدينة الجزائر ... فرايت محيا صبيحا وتربا مليحا ... تلمسان ... وارض من الحصباء بيضاء قد جرت جداول ماء فوقها) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 92)**. فعن تربة

المدينة المنورة والجزائر يصفها بالبيضاء وهي اشارة الى فقر هذه التربة. فالترب ذات الالوان الفاتحة الصفراء او الرمادية او البيضاء لاتعد من التربات الملائمة للإنتاج الزراعي الناجح الا بالنسبة لبعض المحاصيل الخاصة ، وتنتشر هذه الترب في المناطق الصحراوية بسبب فقرها في المواد العضوية و تجمع المواد الجيرية وبعض الأملاح القلوية التي قد تؤدي احيانا الى ازدياد اللون الفاتح لدرجة انها تبدو بيضاء وهي اقل انواع الترب خصوبة **(شرف، 2000، الصفحات 234-235)**. كذلك الحال لمدينة تلمسان حيث يعني بالحصباء اي ذات صخور رملية ذات حبيبات صغيرة ايضا بيضاء كحال تربة المدينة المنورة سالفة الذكر . وعن مدينة الكرك ايضا (وفتحت ابوابها انقابا في وسط الحجر الصلد والعجب كل العجب انها على بعد مرقاها وسمو مرتقاها ... قد اينعت في اعلاها الثمار وتفجرت منها العيون والانهار) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 88)**. في النص اعلاه يتعجب البلوي من مكان مدينة الكرك فعلى الرغم من موقع المدينة على الحجر الصلب التي هي عليه فقد انتشرت في اعلاها الاشجار المثمرة وانفجرت العيون والانهار الجارية فيها مما يشجع الزراعة والانتاج فضلا عن كثرة الامطار وخاصة شهر اذار كما يقول في هذا البيت فهي لا تسئل الغمام ..... ولاتشتاق كالارض كلها اذار **(علي، 2017، صفحة 117)**. في جانب الجغرافية الطبيعية كانت بهذا القدر اشاراته من هذا الحقل الجغرافي رغم قلتها الا انها تحمل في طياتها التميز في ذكر هذه الجوانب رغم ذلك .

2- الجغرافية البشرية :

في هذا الجانب اورد الرحالة ذكر جوانب وتفرعات الجغرافية البشرية مما سيتم عرضه لاحقا في هذا الجانب ومنها الجانب الزراعي والعمراني بشكل اوسع تقريبا فضلا عن جوانب الثروة الحيوانية والتجارة والصناعة بشكل اقل وموجز اما الجانب السكاني فلم يرد ذكر شيء بهذا الصدد .

2-1 الجغرافية الزراعية :

هذا الحقل الذي يعد من فروع الجغرافية الاقتصادية هي والفروع الاخرى التي سنتكلم عنها في هذا الجانب كالتجارة والنقل والصناعة والثروة الحيوانية لما لها من اهمية كبيرة في حياة الشعوب وخصوصا في العصور الماضية التي لم تكن للثورة الصناعية دور او اثر سوى صناعات يدوية بسيطة آنذاك والانسان كان يعتمد على الزراعة بالدرجة الاساس لزيادة دخله المادي وحاجته اليومية من الطعام فضلا عن بقية الجوانب ، فالجانب الاقتصادي مهم في حياة الجميع . فهو يقوم على مبادئ واهداف واسس ثابتة **(حسين، 2012، صفحة 1)**. يتحدث البلوي عن بجاية الجزائرية (وصلنا بجاية فدخلناها في يوم الاثنين ... بلدة قدرها خطير ... يمتد امامها بسيط اخضر مد البصر قد اجرى الله فيه مذانب الماء تسقيه ... كأنها سبائك اللجين (الفضة) ممدودة في بسيط الزبرجد محفوفة بالزمرد ... والبساتين ملتفة الاشجار يانعة الثمار ... والحدائق تنتظم بحافتيه وتفيء ضلالها الوارفة عليه) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 9)** . واشارته دلالة على خصوبة الارض وصلاحيتها للزراعة لكثرة النباتات والبساتين فيها وتوفر المياه ومعطيات ذلك توفر تربة خصبة طالما توجد مساحات خضراء فيها بشكل كثيف حسب ما ذكره . اما عن الاسكندرية المصرية فيقول (وحدائق فيها من كل الثمرات ونخل كالكتائب قابلت الكتائب ... فيها قنوان (اعذاق العناقيد) من البسر (تمر لم ينضج بعد) والوان .... فخرجنا من الاسكندرية في يوم الثلاثاء ... وسرنا في بسيط من الارض ... وبساتين ... ونخلات طلع وخامات زرع تموج بدائعها) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 35،47)**. يهذا نعلم بأن المدينة تشتهر بزراعة النخيل وانتاج اجود التمور . واشار الدكتور جمال حمدان بدراسته معرجا وتظل الحقيقة هي ان الاسكندرية ولو نسبيا فقط هي اولى محافظات مصر جميعا توجها نحو الخضراوات والفواكه لاسيما الاخيرة بالذات حيث انها اكثف حديقة بستانية منفردة في مصر **(حمدان، 1984، صفحة 194)**.

ينتقل هذا الرحالة الى وصف الزراعة في مدينة رملة الفلسطينية وصولا الى غزة بقوله (وصلنا مدينة الرملة احسن المدائن ازقة واسواقا واكثرها فواكه وارزاقا ... وابدعها اتصالا بالبساتين والتصاقا قريبة من البحر ... فيها جنات من نخيل واعناب ... فارقناها ... وقد احدقت البساتين بها احداق الهالة بالقمر والاكمام بالثمر وامتدت بطحتها الخضراء امتداد البصر ... ومازلنا نسير على بساطها الاخضر واديمها الانضر الى ان وافينا غزة) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 123-125)** فيجعلنا هذا الرحالة في واقع المدينة الزراعية واشتهارها بأنواع الثمار والمحاصيل الزراعية من فواكه وخضار ونخيل واعناب مع توفر المقومات الطبيعية بطبيعة الحال كنتيجة لهذا التخصص والوفرة الزراعية بشتى المحاصيل .

2-2 الصناعة :

فنجد اشارة نادرة الحقل وهي الاشارة الى صناعات العاصمة المصرية قائلا (وصلنا مدينة القاهرة ...فسرنا في اقطار تلك الحضرة التي ارضها سندسية اللباس ... فرايت فيها من المباني الهائلة والمصانع الناصعة ..... وركبت بحر نيلها العذب ... وارضها مخضر صاغ النور تاجه وحاك القطر ديباجه) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 47-48)**. فهذه من الاشارات الدقيقة عن صناعات مدينة القاهرة بأنواع الملابس وخصوصا المصنوعة من الحرير السندسية بوصفه اي رقيقة الملمس فضلا عن الملابس من اصل حرير وهو الديباج الى جانب ذلك وجود المصانع فيها التي تنتج هذه الانواع من الملابس. فقط كانت بهذا القدر كانت له اشارات في مجال جغرافية الصناعة .

2-3 التجارة :

فعن هذا الجانب يتكلم عن تجارة قسطنطينة (حتى وصلنا قسطنطينة ... بها تتوفر الارباح ... وبشتى اقطارها يتلاقى التاجر والفلاح) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 12)**. وكذلك عن القاهرة (اخبرني هناك من اثقه من العلماء ... انهم احصوا المراكب التجارية في هذا النيل ... فألفوها تنيف على مائه الف مركب ماعدا الزواريق الصغار .... واحصى الجمال الداخلة الى القاهرة بالماء كل يوم فبلغت مائتي الف جمل ماعدا البغال والحمير) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 48-49)** .فيشير الى ان التجار يأتون اليها من شتى البلدان ويلتقون فيها وتتحقق التجارة و الارباح وتعم الفائدة لكلا الطرفين في قسطنطينة ، فضلا عن ما اخبره احد العلماء الثقاة ايضا عن عدد المراكب التجارية الداخلة اليها بما تحملها من جمال وبغال و حمير الى القاهرة عبر نهر النيل . وهذا كله يعني ان اسواق القاهرة فيها رواج على وصفه وحافلة بالمتبضعين وتوفر انواع السلع وكثرة الطلب مما يؤدي الى الانتعاش الاقتصادي **(علي، 2017، صفحة 118)**. اما مكة المكرمة فيعرج عنها (فبرهان ذلك ظاهر الى يوم القيامة وذلك ان افئدة من الناس تهوي اليها من الاصقاع النائية والاقطار الشاحطة فالطريق اليها ملتقى الصادر والوارد ... فهي اكثر البلاد نعمة وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر ولو لم يكن لها من المتاجر الى اوان الموسم ففيه مجتمع اهل المشرق والمغرب فيباع فيها في يوم واحد فضلا عما يتبعه من الايام من البر الى الدر ومن الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الاحجار الكريمة من انواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية الى غير ذلك ... وعم جميعها بالمنفعة التجارية) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 108)**.اشاراته واضحة ودقيقة عما يحصل فيها من تجارات بشتى الانواع من ملابس وعطور واحجار كريمة وجواهر من شتى بقاع الارض وهي ملتقى البلدان الشرقية والغربية وبذلك يكون الانتعاش الاقتصادي نتيجة هذه التجارة .

2-4 الثروة الحيوانية :

الاشارات في هذا المجال طفيف جدا من قبل هذا الرحالة فيصف مدينة المرية الاسبانية معرجا في مؤلفه (وقد اشرفنا على المرية ... فهناك شاهدت الظباء مختلفة بالآرام (صغير الظباء) والغزالة انيسة النفور والشادي (طيور صغيرة) يبادر بالسلام) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 5)**. فهو فقط يشير الى ما فيها من حيوانات وطيور فضلا عن ذلك يشير الى انواع من الحيوانات الداخلة الى مصر من الجمال قائلا(الجمال الداخلة الى القاهرة بالماء في كل يوم بلغت مائتي الف جمل) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 49)**. وبعد خروجه من مصر منتقلا الى مدينة فوهة القريبة من الاسكندرية وصفها بانها اخصب منطقة للمراعي الحيوانية (وصلنا الى فوهة ضحوة يوم الجمعة ... وهي بلدة من احسن بلاد ذلك الساحل مرءى واخصبها مرعى) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 131)**. بهذا القدر اكتفى او ورد ذكر هذا الجانب من الجغرافية.

2-5 جغرافية المدن:

يعد الجانب العمراني من الامور المهمة في حياة الانسان بشكل عام ولاسيما نوع وطريقة وطراز البناء سيجلب الانظار اليه فنجد تحدث ابي البقاء عن هذا الجانب (وافينا مرسى هنين ... فرايت بليدة نضيرة ... لا كبيرة ولا صغيرة جميلة المنظر متوسطة بين الصغر والكبر ... وفيها اسواق موفورة ومساجد معمورة ... ثم خرجت منها الى ان وافينا مدينة تلمسان فحللنا به ... فرايت مدينة قل مثلها ... بسيط له اتساع وانفساح ... وروضات يعترض اليها اهتزاز وارتياح ... فسيحة الارجاء) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 6)**. وهنا نجده يقسم المدن حسب حجمها وما فيها من اسواق ربما كدلالات بان المدينة كبيرة ولها ذكر وشأن ومدى اتساع هذه المدن ومساحاتها وان المدينة عامرة وتزخر بالحيوية الاجتماعية والاقتصادية .

وتونس هي الاخرى التي ذكرها (فوصلت الى حرة تونس المحروسة ... طفقت اتمشى في الاماكن المكينة واتحلل سكك المدينة واتعجب من محاسنها المستبينة ... واتساع جنباتها وافنائها) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 16)**. اذ سجل شاهداته بدقة متناهية لبعض المدن التي زارها وبأسلوب ادبي رفيع تميزت بعبارات السجع المتكلف يصعب على القارئ فهمه من اول وهلة فوصف هذه المدن والجوانب العمرانية التي فيها فضلا عن ذكره طبيعة تلك المباني ومقاييسها **(حمد، 2018، صفحة 77)**.

- طبيعة البناء العمراني :

ففي هذا المجال يتحدث عن مدينة الاسكندرية (فلم ار مدينة احسن منها وضعا ولا ابدع ربعا ولا اوسع مسالك ولا على مباني ولا ... ولا اوضح معالم ولا املح ازقة ولا اجب رونقا ورقة ولا احسن تفصيلا وجملة ..... انها الاسكندرية فهي من اعجب البلدان وفيها بنيان عجيب ... والمنار على اربعة اساطين وطوله ثلاثمائة ذراع وحيطان المدينة سورها من رخام فيها قبة كانت لفرعون وفيها قصر سليمان ... ومن عجيب صنعها ان بناءها تحت الارض كبنائها فوقها بل اعمق وامتن) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 35-36)**. يستهل بالوصف الجميل لطبيعة العمران فيها وتتمثل بضخامتها وفيها اعلى المباني وسعة الطرق فيها من حيث الحجم وان اهلها يبنون طابق تحت الارض ومثله اعلاه ولربما يعزى سبب هذا البناء هو لكبر حجم الاسر لكي تغطي اكثر عدد او لأغراض الخزن اللجوء الى اعلى المبنى عند ارتفاع مناسيب المياه وهذه تخمينات واردة حيث لم يبين الرحالة سبب ذلك ، وتدل كل ذلك على الدقة في تصاميم المدن آنذاك ووعيهم لتأثير الظواهر الطبيعية عند انشاء المدن ومراكزها العمرانية . اذ تعد المراكز العمرانية اول خطوة للإنسان خطوة للإنسان لملائمة نفسه مع الظروف البيئية الجغرافية وتدخل دراستها في فروع متعددة من العلوم فالاثنوجرافي يتولى وصف اشكال المساكن والمواد المستخدمة في بنائها ثم يدرس الموضوعات

المختلفة للتركيب الاجتماعي والمستوى الحضاري للسكان ، فالجغرافي يتناول دراسة مراكز العمران البشري في ضوء علاقاتها البيئية المجاورة التي تواجه موضع المراكز العمرانية ومواقعها والمواد التي بنيت منها **(ابو عيانة ، 1989، صفحة 511)**.

2-6 المارستانات (المستشفيات): لقد كان وصف ابي البقاء لإحدى مستشفيات القاهرة ان ذاك بقوله (وهو قصر من القصور الرائعة حسناً و جمالاً و اتساعاً ما لم يعد مثله بقطر من الاقطار احسن بناء و لا ابداع انشاء و لا اكمل انتهاء في الحسن و الجمال ... في كل يوم من المرضى الداخلين اليه و الناقهين الخارجين منه اربعة الاف نفس و تارات يزيدون و لا ينقصون و لا يخرج منه كل من يبرء فيه الى مرض حتى يعطي احساناً اليه و انعاماً اليه كسوة للباسه و دراهم ... و اما ما يعالج به المرضى من قناطير الاشربة المقنطرة و الاكحال الدقيقة الطيبة التي تسحق فيها دنانير الذهب ... ما يضاف الى ذلك كله من لحوم الاغنام على اختلافها ... مع ما يحتاج اليه كل واحد ممن يوافيه من يحل فيه لفرشه و عرشه من غطاء و وطاء ... و قد رتب على ذلك كله من الاطباء الماهرين) **(البلوي، ب ت (ج2)، الصفحات 49-50)** . فقد اسهب بالحديث في هذا الجانب عن هذا المارستان بوصف رائع عن طبيعة البناء و طريقته و الخدمات التي تقدم للمرضى الداخلين اليها و الخارجين منها و التي يزيد اعدادهم عن الاربعة الاف تقريباً و هذا يدل على مدى اتساع هذا المستشفى و تطوره من توفير الاطعمة للمرضى و المفروشات المستخدمة لمبيتهم و العقاقير الطبية المستخدمة للتداوي فضلاً عن المستلزمات التي يحتاج اليها المقيمون فيها ، و كذلك توفر اطباء ماهرين فيها و وجود عمال يقومون على خدمة المرضى ايضاً) **(حمد، 2018، صفحة 74)**. مع ذلك وصف مستشفيات اخرى ولكن بشكل عابر فقط كإشارة الى وجود هذا المبنى و لم يدخل في تفاصيل مثل التي بين يدينا .

2-7 المدارس : بهذا الصدد وصف هذا الرحالة بعض المدارس المصرية ومنها الاسكندرية (ولهذه المدينة من المدارس والمساجد ما لا يستوفيه وصف ... وبإزاء هذا المسجد العظيم مدرسة مختلفة الصنعة سامية المنية اعظم المدارس اتساعا واعلاها سموا وارتفاعا فيها من المنازل الرفيعة و الرواتب الموقوفة) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 34)**. كذلك ذكر مدارس مدينة القدس الفلسطينية التي تسمى بالمدرسة الذنقيدية (مدرسة عجيبة غريبة الشكل غزيرة المياه حافلة الصنعة والخطب الادبية العربية والالفاظ البعيدة القريبة كل من اتى بالعجب) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 72)**. فكانت بهذا القدر وصفه للمدارس فضلا عن ذكره بعض الشواهد التاريخية للأهرامات ونها الاهرامات قديمة وعالية قائمه في جو السماء الخ.

2-8 المساجد: ومن هذه المساجد التي ذكرها في رحلته المسجد الحرام التي كانت هي المقصد الاساسي لرحلته التي كانت للحج اذ قال (والبيت المكرم له اربعة اركان وهو قريب من التربيع وذكر ان ارتفاعه في الهواء من السطح الذي يقابل الصفا وهو بين الحجر الأسود واليماني تسعة وعشرون ذراعا وسائر الجوانب ثمانية وعشرون بسبب انصباب السطح الى الميزاب... مبني من الحجارة الكبار الصم وقد رص بعصها على بعض والصقت بالعقد الوثيق الصاقا لا تحيله الايام ولا تفصحه الازمان... وداخل البيت المكرم مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كلها رخام... وفيه بين الاعمدة اقواس من الفضة عددها ثلاثة عدا واحدها من ذهب خالص وظاهر البيت كله من الاربعة الجوانب مكسو ستورا من الحرير الاكحل) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 103)**. فقد وصف بناء هذا المسجد المبارك وطبيعة بنائه ونوع المواد المستخدمة فيها ودقة التصميم لكي لا يتعرض الى التآكل بمرور الزمن. ولكن اهم ما كان يميز مكة المكرمة ويرفع قدرها شيئا لا يرتبط بموقع المدينة ولكنه يرتبط بوجود الكعبة بها **(اسماعيل، 1987، صفحة 18)**. اما المسجد الاقصى فيصفها (وهذا المسجد الشريف هو اعظم مساجد الدنيا طوله سبعمائة وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة وخمسون

ذراعا... وسواريه أربعمائة واربع عشرة سارية وابوابه خمسون بابا... قد اسس بالحجارة العظيمة والواحه الكبار المنحوتة الهائلة... السواري المفضفضة الملونة... كلها مطلية الرؤوس بالذهب الذائب) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 63)**. اما المسجد النبوي فبهذا المجال تكلم قائلا (ووصلنا الى المدينة النبوية المقدسة الشريفة و طول المسجد الكريم مائة و ست و تسعون خطوة و سعته مائة و ست و عشرون خطوة وهو بالذراع ثلاثمائة ذراع طولاً و مائتان عرضاً ... و عدد سواريه ثمانمائة و تحفه من جهاته الاربع بلاطات مستديرة به و وسطه كله مفروش بالحصا و الرمل ... نصف جدار القبة الاسفل رخام ... و النصف الاعلى من الجدال مترل كله بالذهب قد انتج الصناع فيه نتائج غريبة من الصنعة) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 95)**. و يكمل عن مسجد قباء (ويظاهر المدينة الكريمة من جهة القبلة على ميلين اثنين منها مسجد قباء و هو مسجد حسن عدل التربيع مستوي الطول و العرض ... و في وسطه مبرك الناقة للنبي صلى الله عليه و سلم و عليه شبه روضة) **(البلوي، ب ت (ج2)، صفحة 95)**. فهذا الحديث بدقة متناهية بوصف المدن و ما فيه من معالم و مساجد و مستشفيات و مدارس كل هذا يدل على المام هذا الرحالة بماهية المدن و تخطيطها و توخي الدقة في الوصف من حيث ارتفاعات المدن و الابنية و طراز بنائها و حجومها و اطوالها و مساحاتها و نوع المعادن و المواد المستخدمة فيها كلها دلالات واضحة على الافق العلمي الواسع . فمواضع المدن و ما فيها مهم حيث المدينة نتاج موقعها انها مرأة تعكس ما يجري **(صفر، 2012، صفحة 12)**.

الاستنتاج

توصلت الدراسة الى ان رحلة ابي البقاء البلوي كانت فيها افاق معرفية وجوانب علمية و جغرافية في كتابه تاج المفرق في تحلية علماء المشرق محور الدراسة اذ ركز على اغلب مجالات الجغرافية بفروعها الحديثة في وصفه للبلدان والمظاهر التي اطلعنا عليها ، اضافة الى ان اشاراته للمظاهر الجغرافية الطبيعية والبشرية منها كانت اغلبها دقيقة تماما كما في الواقع لان البلوي امتاز وصفه بالدقة والوقوف على الظاهرة بنفسه اي دراستها ووصفها ميدانيا حيث تعد الدراسة الميدانية بمثابة العمود الفقري للجغرافية لما تمتاز من معلومات دقيقة واطلاع القارئ على المظاهر كما هي دون اضافات او نقصان في الوصف بشكل عام ، الا انه لم يذكر او يضيف اي خريطة لأي مظهر طبيعي او بشري .

المصادر

1) ابو عيانة ، فتحي محمد، (1989)، دراسات في الجغرافية البشرية. الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

2) اسماعيل ، احمد علي،(1998). المدينة العربية والإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي. **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية**، الكويت،العدد102.

3) البخيت ، محمد عدنان، (1976). مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط1. الاردن.

4) البلوي ، (ب ت). تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. ج1.

5) البلوي،(ب ت) . تاج المفرق في تحلية علماء المشرق.ج2.

6) بن زغادي ، محمد، (2015). قراءة في تاريخ مدينة هنين. **دورية كان التاريخية، العدد**28.

7) بن عميرة ، محمد ، بن عميرة، لطيفة بن بشاري، (2015). تاريخ بجاية، ط1، الجزائر، دار الفاروق للثقافة والنشر.

8) حسن ، زكي محمد، (2013)، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، القاهرة، دار كلمات للترجمة والنشر.

9) حسن ، سعد احمد، الجخيدب ،مساعد بن عبدالرحمن، (2004). المكانة العلمية للتراث الجغرافي العربي الاسلامي. **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية**،العدد295.

10) حسين ، عبدالستار شحاذة،(2012). فاعلية النظام الاقتصادي الاسلامي في تحقيق التنمية الاقتصادية. **مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية**، المجلد السابع، العدد2.

11) حمد ، اسماعيل مجبل،(2018). الجوانب العمرانية من خلال رحلة ابي البقاء البلوي (ت بعد767هـ) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. **مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية**، العدد2.

12) حمدان ، جمال ، (1984)، من خريطة الزراعة المصرية ، ط1، القاهرة، دار الشروق.

13) حميدة ، عبدالرحمن ، (1995)، اعلام الجغرافيين العرب، ط1، دمشق، دار الفكر.

14) خربوطلي، شكران، خولاني ،خولة، (2015). ادب الرحلة في العصر المملوكي (ابن بطوطة والبلوي انموذجا). **مجلة بحوث جامعة حلب**، العدد101.

15) شرف ، عبدالعزيز طريح. (2000)، الجغرافية المناخية والنباتية، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

16) صفر ، زين العابدين علي . (2012). قياس تخلف المناطق الحضرية و طرق تقويمها. **مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية**،المجلد السابع، العدد2.

17) علوش، ناجي ، (1986)، الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشرية،ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

18) علي ، حميد محمد، (2017). الجوانب الاقتصادية في كتاب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق لابي البقاء البلوي (ت بعد 767هـ). **مجلة جامعة الانبار**، العدد3.

19) الموسوعة العربية: https://arab-ency.com.sy/ency/details/11188/22

20) نواب ، عواطف محمد يوسف ،(1996)، الرحلات المغربية والاندلسية، الرياض. مكتبة الملك فهد الوطنية.